مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (6)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (6) 2018

الرمز والأسطورة بين فرويد وريكور
(دراسة في آليات التأويل)

الدكتور بشرى عباس *

(تاريخ الإيداع 4 / 11 / 2018. قبل للنشر في 21 / 11 / 2018)

□ ملخّص □

تناول البحث الذي بين أيدينا كيفية انتقال الرمز من التحليل النفسي إلى حقول علمية وفلسفية أخرى، وخصوصاً الهيرمينوطيقا ونظرية التأويل عند بول ريكور، إلى درجة أن هذا البحث عالج بين ثناياه ما فعلته هذه الأخيرة؛ أي نظرية التأويل بمفهوم الرمز الذي هاجر إليها أتياً من التحليل النفسي حيث شكّل مرتكزاً أساسياً لدى فرويد في تناوله لأشكال العصاب والأمراض النفسية هادفاً من وراء ذلك جعل الرمز يسهم في الوصول إلى نتائج عملية وكان لابد لهذا الرمز أن يكون ملتبساً بما أطلقت عليه التأويلية مفهوم الأسطرة تمهيداً للعمل الذي ستقوم به التأويلية والذي ستعتبره نشاطاً أساسياً يتعلق بإزالة الأسطرة من فضاء الرمز.

هكذا وعلى أسس تأويلية أخذ ريكور على عاتقه مناقشة فرويد بشكل مباشر في أعمال كثيرة، حاول في هذه المناقشات أن يفهم آليات التحليل النفسي ومنطلقاً من هذا الفهم إلى معالجة المفاهيم الأساسية الفرويدية بما يمكّن التأويلية نفسها من إعادة قراءة فرويد عبر مسألتي الرمز والأسطورة، ولهذا جاء هذا البحث موضحاً كيف فعل ريكور ذلك معتمداً على الفكر الاستجوابي؛ أي مساءلة الأفعال والأقوال، كما أفصح البحث عن ذلك من خلال مناقشات حاولنا قدر الإمكان أن تكون مناقشة نقديَّة بما يساعد على التوصل إلى فهم ما أفضت إليه نظرية التأويل من نتائج أخرجت الرمز والأسطورة من حيث الاستخدام التجريبي لدى التحليل النفسي إلى خلق نظرية التأويل نفسها بعد أن أصبح الرمز جزءاً أساسياً من عمليات الانزياح والاستعاضة داخل النصوص الخاضعة للتأويل وبعد أن تمكنت التأويلية من إزالة الأسطرة.

الكلمات المفتاحية: الرمز، الأسطورة، التأويل، الانزياح، إزالة الأسطرة.

* مدرس، قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، دمشق، سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (6)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (6) 2018

Symbolism and Mythology between Freud and Ricoeur: A Research in Techniques of Interpretation

Dr. Boushra Abbas*

(Received 4 / 11 / 2018. Accepted 21 / 11 / 2018)

□ ABSTRACT □

This research studies the process of symbol transition from psychoanalysis to other scientific and philosophical fields, especially hermeneutics and Paul Ricoeur's interpretation theory. In fact, this research studies what the interpretation theory has done to the concept of symbolism. The latter migrates to it from psychoanalysis which forms for Freud an essential basis in his study of the kinds of neurosis and psychopathy. Actually, his goal is to make symbolism contributes to get scientific results. Thus, this symbolism should be put in an attire of what the interpretive has called the concept of mythologization to reach the work which the interpretation will do and consider too as an essential activity to eliminate mythologization from the domain of the symbol.

Paul Ricoeur, based on the interpretive, has taken upon himself to discuss directly Freud's works. He tries in these discussions to understand the techniques of psychoanalysis to handle the basic Freudian conceptions to enable the interpretive to reread Freud through symbolism and mythology. Thus, this research illustrates how Ricoeur depends on the inquisitive thought, i.e. through questioning deeds and words. The research clarifies this point through discussions we try to make as critical as possible in order to understand the results of the interpretation theory that brings out the symbol and myth, in terms of the psychoanalytic experimental exercise, in order to create the interpretive theory itself. This takes place after the symbol becomes an important part of the displacement-and-compensation processes within the texts which are subjected to interpretation after the interpretive has managed demythologization.

Key words: Symbol, Myth, Interpretation, Displacement, Demythologization

* **Assistant Professor, Department Of Philosophy In The Faculty Of Arts And Humane Science, Damascus University, Damascus-Syria**

مقدمة:

لعل الخوض في قضايا التحليل النفسي يبدو أمراً شديد الإغراء، طالما أن التحليل النفسي والفرويدية تحديداً مثلّت حالةً شديدة التعقيد بقدر ما هي شديدة الإغراء لكل الحقول المعرفية المجاورة لها؛ أي تلك القريبة على التخوم وتلك البعيدة.

ولأن التأويلية هي من الحقول القريبة والمتاخمة للتحليل النفسي فإن البحث في علاقتهما مع بعضهما البعض يبدو أيضاً على درجة من البساطة والتعقيد في الآن نفسه، وتأتي البساطة من أن التحليل النفسي وخصوصاً في مرحلته الفرويدية الأم شكل منبعاً للتأويل، ولكن التأويل في هذه الحالة كان تأويلاً وظيفياً بمعنى أنه كان متلازماً مع نشاط الفرويدية الهادف إلى الوصول من خلال التأويل إلى العلاجات المرضية. في حين أن التأويلية إذ لجأت إلى الفرويدية فإنها إنما هدفت إلى فهم طبيعة الرمزية في تمظهراتها الدلالية.

بالطبع فإن التأويلية قد دخلت كهفاً من الكنوز الدفينة عندما ولجت عالم التحليل النفسي والفرويدية بشكل خاص، إذ أن الفرويدية كانت قد اعتمدت بشكل كبير على الرمز والأسطورة، فمن جهة أولى جاء الرمز ليساعد الفرويدية على قضايا التأويل ضمن محيط عمل التحليل النفسي المرضي، وخصوصاً في قضايا تأويل الحلم، وبالتالي الكشف عن دلالاته المرضية والتي أفضت في كثر من الأحيان إلى الكشف عن التاريخ المرضي اللاشعوري للشخصية، وهذا أيضاً ما فعلته الأسطورة على الطرف المقابل حيث استعان التحليل النفسي الفرويدي بالأساطير لفهم الظواهر النفسية المرضية ومنها مثلاً أسطورة الأب القتيل، والتي عرفت بقتل الأب، هذه الأسطورة التي كشفت فيما بعد عن صراع بين الأبناء والأب استودعه اللاشعور في مخابئ عميقة كشف عنها التحليل النفسي بفضل هذه الأسطورة. وبحثنا هنا تناول ما فعلته التأويلية كعلم متاخمٍ للتحليل النفسي الفرويدي اعترف أولاً بفضل الفرويدية على شتى مناحي البحث العلمي بشكل عام، وعلى التأويلية نفسها بشكل خاص. مما يعني أن التأويلية مدينة بفضل الفرويدية عليها من حيث حضور الرمز والأسطورة في نشاط التأويلية، دون أن يعني ذلك أن التأويلية قد استسلمت بشكل كليَّ لما قدمه فرويد، بل لقد ذهبت التأويلية لتخليص الرمز من وظيفيته التجريبية كما هو الحال لدى فرويد حيث أصبح الرمز مضماراً لعمل التأويل والكشف عن الانزياح في فضاءات النصوص واللغة بما يجعل تعددية المعنى والرمزية ينتميان إلى تكوين اللغة، هاهنا تخلص التأويلية الرمز من وظيفته التجريبية الفرويدية وتعيده إلى مكانه داخل النصوص وفلسفة اللغة والتأويل.

أما عن الأسطورة فقد سعت التأويلية ضمن نشاطها من أجل إقامة فلسفة كبيرة كما يقول ريكور هي فلسفة اللغة، نقول أنها سعت من أجل إزالة الأسطرة تعريفاً ونقداً وإعادة بناء بطريقة تختلف فيها الأسطرة داخل التأويلية عنها داخل الفرويدية، وقد ساعد ذلك ليس في إبعاد التأويلية عن الفرويدية بل على العكس من ذلك، لقد ساعدت إزالة الأسطرة على تعميق الرابطة اللغوية على الأقل بين التأويلية والفرويدية، ذلك أن السعي المحموم لفهم قضايا التأويل ضمن فلسفة اللغة وجد نفسه مرتبطاً بالدلالات الأولى التي منحتها الفرويدية للرمزية من جهة أولى والأسطورة من جهة أخرى، الأمر الذي دفع بالتأويلية أن تدخل الرمزية والأسطرة في نشاطها ولكن ضمن آليات اللغة وفلسفة اللغة بدلاً من آليات التحليل المرضي.

أهمية البحث وأهدافه:

أهمية البحث:

لعل اهمية هذا البحث تأتي من موضوعه نفسه ذلك ان آليات عمل التأويل داخل التحليل النفسي ربما أفضت بشكل من الأشكال إلى ولادة التأويلية والهيرمينوطيقا وفلسفة اللغة ضمن شروط وآليات جديدة، فليس خافياً أن التحليل النفسي

الفرويدي قد اعتمد على الرمز في الأحلام والأساطير للكشف عن طبيعة الأمراض النفسية والعصابات وهو أمر بالغ الأهمية من حيث الدلالات التي يفضي إليها الرمز والأساطير كذلك، وكذا الأمر في التأويلية عند بول ريكور التي اعتمدت على الرمزية والأسطرة في إقامة فلسفة للغة.

أهداف البحث:

لقد هدف هذا البحث من بين ما هدف إليه إلى الكشف عن العلاقة المباشرة أحياناً والمتوترة أحياناً أخرى بين التحليل النفسي وخصوصاً الفرويدية وبين الهيرمينوطيقا ونظرية التأويل لدى ريكور.

كما هدف أيضاً إلى وضع اليد على ما فعلته التأويلية بما أنتجته الفرويدية في مضمار التأويل بكل من الرمز والأسطورة.

أما الهدف الأهم فيكمن في الكشف عن قيمة الفرويدية في التأويلية كما عبرت عنها أعمال بول ريكور في مضمار فلسفة اللغة والهيرمينوطيقا.

منهجية البحث:

استعنا في هذا البحث بمنهج التحليل النصي اللغوي الذي رأينا أنه يمثل حالة ضرورية فيما أقدمنا عليه، كما أننا في مواقع متعددة استعنا بالمنهج الوصفي ضمن سياقات ما الزمنا به البحث نفسه.

النتائج والمناقشة:

أولا. الرمزية بين فرويد وريكور:

تبدو الرمزية على درجة من الأهمية من أجل فهم العلاقة المعقدة داخل مدرسة التحليل النفسي بين مبدأين هما: مبدأ اللذة ومبدأ الواقع، وهذه العلاقة تشترط فيما تشترط الانطلاق من القيمة التي تفرض نفسها على آليات التحليل النفسي من جهة ومن ثم آليات فهم النتائج التي يفضي إليها هذا التحليل. وهذه القيمة التي نتحدث عنها هي تلك التي تنقل التحليل النفسي من تحليل واقعي إلى تحليل يتخذ من الرمز وسيلة لشرح نتائجه. وفي هذا المقام تحتل الأسطورة ورمزيتها مكانة مهمة في التحليل النفسي عند فرويد. فإذا كان هناك تقابل بين مبدأ اللذة ومبدأ الواقع فإن تفعيل آليات فهم هذا التقابل يفضي بنا إلى الملاحظة التي أوردها ريكور وهو يشرح هذا التقابل بقوله:" إن ما كان أول الأمر مجرد مبدأ (تنظيم نفسي) سيصبح رمز حكمة ممكنة"[1] ولكن قبل الدخول في شرح ما يعنيه ريكور من هذا القول لابد من التطرق إلى القواعد الأساسية التي تتبعها الهيرمينوطيقا في فهمها لعمل التحليل النفسي وكي لا يأتي الكلام عاماً ومستفيضاً حول هذه المسألة؛ أي قواعد الهيرمينوطيقيا والتأويلية ونظرتها إلى التحليل النفسي، فإننا نختار موضوعة أساسية انشغلت بها نظرية التحليل وهي صورة الأب في التحليل النفسي والتي تمثل مجالاً خصباً لفهم التأويل وآلياته عند فرويد وعند ريكور معاً. خصوصاً وأن التحليل النفسي كان قد ركز على الإطار المنهجي لنظرية التحليل من خلال مصطلحات ثلاث: منهج الاستقصاء، تقانة المعالجة، إنشاء جسد للنظرية"[2]. وهذه المصطلحات تشير أول ما تشير إلى البنية التأويلية للتحليل النفسي إذ أن عودة التحليل النفسي إلى النصوص الأسطورية والدينية تؤكد على أن التحليل

[1] - ريكور، بول. في التفسير محاولة في فرويد. ط1، ت: وجيه أسعد، أطلس للنشر والتوزيع، دمشق، 2003،ص220

[2] - ريكور، بول .صراع التأويلات دراسات هيرمينوطيقية.ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، 2005، ص223

النفسي هو ممارسة من جهة، ومن جهة أخرى هو فن تأويلي أيضاً. وبالعودة إلى صورة الأب يمكننا أن نؤكد على هذه النزعة التأويلية الموجودة في التحليل النفسي، حيث سنجد أن قيام الهيرمينوطيقا الريكورية بعملية التأويل لصورة الأب كانت قد اصطدمت بالطابع الانزياحي لصورة الأبوة داخل نظرية التحليل الفرويدية. فنحن نجد أن ريكور قبل البدء في عملية التأويل يعالج النقاط الثلاث التي تبرز من خلالها صورة الأب. وهذه النقاط تبدأ بالتحولات التي تجعل من صورة الأب صورة إشكالية، وفي حالة تكون مستمر تقود إلى مستويات دلالية مختلفة انطلاقاً من صورة الأب الخاصي (عقدة الخصاء)[1] والذي لابد من قتله إلى صورة الأب في إطار الرحمة حيث يموت، هنا تختلف عن الأولى. وبعد ذلك يذهب ريكور إلى النقطة الثانية التي تشير إلى صورة الأب الموضوعة داخل محاور ضمن العلاقات الإنسانية المتداخلة، وهنا نجد ان الصورة أكثر رمزية إذ انها تدخل في علاقات التغير الرمزي"[2]. أما النقطة الثالثة التي تركز عليها التأويلية فهي تلك التي تتعلق بالشكل البدائي لصورة الأب، والتي تعود إليها نظرية التحليل النفسي بشكل مستمر مما يجعل هذه العودة استدعاء لصيرورة الرمز. وبالتالي فتح الحقل الدلالي المتعدد لصورة الأب داخل نظرية التحليل النفسي"[3]. إن هذه النقاط التي يأتي عليها ريكور في شرحه لصورة الأب داخل نظرية التحليل النفسي توضح لنا كيف ينظر ريكور إلى الرمز الفرويدي، هذا عدا عن أن ريكور كان قد لاحظ المعضلات الأساسية التي تواجه التأويل والرمز[4] في الحقول الدلالية المختلفة ومنها التحليل النفسي حيث يشير إلى أن التحليل النفسي كان قد اهتم بموضوعات مختلفة يمكن للرمز فيها أن يظهر كدلالة خاصة أو عامة طالما أنه يعتمد في تقانة النظرية على الحلم وعلى الموضوعات الثقافية المختلفة والمتنوعة بين ما هو أسطوري وديني وفني"[5]. ويمكن أن نضيف هنا أن مشكلة الرمز في الفرويدية هي أكثر مباشرة من حيث التأويل ذلك أن فرويد يبقى في النهاية مؤسس نظرية علمية تحاول قدر الإمكان الالتزام بالقانون الطبيعي والعلمي وهو هنا أي فرويد يحاول قدر الإمكان أن يتخلص من تعدد المعنى التأويلي للرمز نفسه، ففي النهاية نجد أن فرويد يريد أن يقدم حلولاً علمية حتى وهو يستند إلى الأحلام والأساطير في المعالجة النفسية. وبمعنى آخر، فأننا نجد أن تعبير ريكور عن أعمال فرويد يجيد توصيف الحالة التأويلية عند فرويد عندما يقول ـ أي ريكور ـ ما معناه أن المزاج الفلسفي لفرويد يتحدد بين المعنى الوضعي للواقع والمعنى الرومنطقي للحياة"[6]. وإذا استمر الحديث عن الرمز في التحليل النفسي فإننا نجد أن قيمة الرمز هي من قيمة النظرية نفسها أي نظرية التحليل. فنحن نجد أن فرويد يتخذ من الرمز نظاماً تراتبياً وفقاً لطبيعة العمل التي تقتضيها مبادئ التحليل النفسي، خصوصاً تلك التي تركز على التقابلات والثنائيات اللذة والواقع، الشعور واللاشعور، الأحلام واليقظة، الرغبة الواضحة والرغبة المستترة، أو تلك التي يعبر عنها النكوص في النظرية نفسها. فمن خلال هذه الثنائيات المتقابلة يمكن أن نفهم آليات عمل الرمز عند فرويد. هذا الرمز الذي يبدو خارج نطاق الإدراك تارةً، وتارةً أخرى التعبير المنظم عن دوافع الأنا ونواياها أيضاً هنا نجد أن التقابل بين الأنا والأنا الأعلى يجد تعبيره الأفضل في الدلالات الرمزية التي تنتشر في وسط

---

[1] - المصدر نفسه، ص532

[2] - المصدر نفسه، ص533

[3] - المكان نفسه

[4]- DEODATO, S.ITAO ALEXIS. Paul Ricour's Herencutics of symbols; Acritical Dialectic of suspion and faith, Rogationist Seminary college- cebu, philippines,2010,p.2. http://www.kritike.org/journal/issue_8/itao_december2010.

[5] - ريكور، بول. *نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى*. ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب،2006،ص94

[6] - ريكور، بول .صراع التأويلات دراسات هيرمينوطيقية،(مصدر سبق ذكره)، ص523

يتأرجح بين طرفين الأنا والمجتمع. وهو ما كان قد عبَّر عن نفسه قبل ذلك في التضاد والتقابل بين الأنا والهو"[1]. إن ما اتينا عليه حتى الآن يوضح لنا الإشكاليات التي تحيط بمفهوم الرمزية داخل نظرية التحليل والتي تبدو إشكاليات لابد من تجاوزها عند مناقشة انتقال الرمزية من النسق التحليلي النفسي إلى النسق النصي اللغوي. حيث نجد أن غنى التعبير على مستوى النصوص الفرويدية يصطدم بعائق أساسي هو موضوع الثقافة هذا الموضوع الذي سيطر على أعمال فرويد الأخيرة، خصوصاً وإن فرويد كان قد ماثل بين الثقافة والأنا الأعلى حتى أنه نظر إلى الثقافة على أنها الاسم الآخر للأنا الأعلى"[2]. ففي هذه الثقافة يتجلى التحريم والتحليل والعدوانية وكذلك العلاقات القائمة على صراع بين الغريزة والنظام الثقافي وكلاهما نجدهما معاً في مفهوم الثقافة. وعندما نقول إن موضوع الثقافة يشكل عائقاً على صعيد النسقية الرمزية الفرويدية فلأن الرمز هنا يبدو محاطاً ومكبلاً بمفرزات الثقافة وعلاقتها مع الفرد. ولهذا فإن أفق المدلولات التابعة لرمز معين يبدو أفقاً ضيقاً إذا ما قيس بالرمز على مستوى النسق النصي للغة. ففي النهاية لا تريد نظرية التحليل النفسي أن تتحول إلى نوع من الغنائية أو السردية، ذلك أن المهام الأساسية التي تضطلع بها هذه النظرية تجعل منها حقلاً يهتم بوظيفة الرمز أكثر مما يهتم بالغنى الدلالي للرمز. وعندما نؤكد على هذه المسألة أي وظيفة الرمز في مقابل الحقل الدلالي والغنى الدلالي فذلك لأن آليات التأويل التي تطبقها الهيرمينوطيقا على الرمزية الفرويدية تجد نفسها أيضاً أمام واقعة أساسية وهذه الواقعة تبدو حاجزاً لا يمكن تجاوزه وهي مسألة الاستسلام الفرويدي للطبيعة والرؤية الباردة العلمية للعالم التي تميز نظرية التحليل النفسي ومؤسسها فرويد وهذا ما جعل فرويد يفتقد إلى القدرة الغنائية والفلسفية والأسطورية التي تتمتع بها حقول أخرى كالفلسفة والفن وهذا ما يسمى من قبل ريكور فقدان الأسطرة"[3] وهذا ما يؤكد على طبيعة الرمز في الفرويدية بوصفه رمزاً يقدم وظيفة معرفية أكثر مما يقدم وظيفة تأويلية، وإذا كان لابد من الاستعانة بالرمز على صعيد نظرية التحليل فإن هذه الاستعانة لا تأتي في سياق الاهتمام بالرمز نفسه بقدر ما تأتي في سياق ما يلبيه الرمز في نظرية التحليل.

ثانياً- نقد مفهوم الأسطرة الفرويدي:

لا تستمد الأسطورة اهميتها في التاريخ الرمزي والعلاقات الدلالية من مجرد كونها مصاغة بلغةٍ تميل إلى الرمز أو تحتمل بنية رمزية، بل إن هذه الأهمية التي تتمتع بها الأسطورة تأتي من طبيعة الفهم الأسطوري للظواهر. وهذا الفهم مرتبط أشد الارتباط بالهيرمينوطيقا طالما أن البحث الهيرمينوطيقي ينقسم اصلاً إلى ما يسمى الأسطرة المرتبطة بالقسم الثاني بالهيرمينوطيقا وهو الدائرة الهيرمينوطيقية"[4]. والحال كذلك فإن التاريخ الرمزي الذي ينضوي تحت الشكل الأسطوري من حيث التعبير والدلالة واللغة يبدو ركناً أساسياً في النظرية الفرويدية عندما حولها التحليل النفسي إلى أكثر من مجرد قصة ورواية تهدف إلى تقديم مغزى أخلاقي، بل لقد عاد التحليل النفسي إلى الأسطورة بوصفها مؤشر حضاري يتعامل مع الوجود الإنساني في انتشاره مكانيا وزمانياً"[5]. ولعل ما يسمح لنا ونحن نناقش مفهوم الأسطرة داخل داخل نظامي الهيرمينوطيقا والتحليل النفسي، أن نفترض أن الأسطورة لم تعد فقط مجالاً للمعرفة بل تعدتها لتصبح الأسطورة قدرة على إعادة إنتاج النصوص ضمن النسق الأسطوري الرمزي بما يسمح لنا القول أن فهم الوظيفة التي

---

[1] - ريكور، بول. في التفسير محاولة في فرويد. ط1، ت: وجيه أسعد، أطلس للنشر والتوزيع، دمشق، 2003،،ص226

[2] - المصدر نفسه، ص209

[3] ريكور، بول .صراع التأويلات دراسات هيرمينوطيقية،(مصدر سبق ذكره)، ص523

[4] - المصدر نفسه، ص446.

[5] - يحيى، لطفي عبد الوهاب. الأسطورة والحضارة والمسرح في مأساة أوديب ملكاً، مجلة عالم الفكر، الكويت، م16، العدد3، 1985، ص92.

تؤديها الأسطورة داخل نظام التحليل النفسي يساعدنا على التخلص من هذه الأسطورة في الوقت نفسه. فنحن في مجال رصد الواقعة الرمزية داخل الأسطورة نجد أن المسعى الهيرمينوطيقي يتلخص في إمكانية الخلاص من الطابع العلمي الصارم للأسطورة كما فرضته الفرويدية، أو التحليل النفسي عندما طابقت نظرية التحليل النفسي بين الحياة البدائية والأمراض النفسية"[1]. ذلك أن الهيرمينوطيقا في مبدأها الأعم تبدو إزالة للأسطرة"[2]دون أن يعني ذلك تقيم نتائج التحليل النفسي على أنها مجرد نتائج نفسية أفضت إليها شروط النظرية النفسية في التحليل النفسي لأهداف علاجية أو على الأقل تشخصية لطبيعة المرض وأشكاله، بل أن الهيرمينوطيقا تعترف بضرورة التخلص من الأسطرة بهدف فهم النص بعيداً عن الرغبة المكبوتة أو الرغبة القصدية التي أنتجت نصاً ما، وإذا كان هذا هو هدف الهيرمينوطيقا فإن الفرويدية لم تتنازل خلال بحثها في عالم اسطورة ومفرداتها ودلالتها عن جعلها جزءاً من الدارسة العلمية للنفس الإنسانية"[3]، والحقيقة إن ما يجعل الأسطرة داخل نظام التحليل النفسي الفرويدي واقعة علمية يعود إلى الغرض الأساسي الذي توخاه فرويد من توظيف الأسطورة داخل نظام التحليل النفسي هذا أولا، وثانياً إمكانية تطبيق التعميم على الأسطورة وهو ما يساعد في إنشاء القانون العلمي الذي لا يصبح كذلك إلا إذا كان قابلاً للتعميم، ومرد ذلك أن الأسطورة تتشابه لدى شعوب العالم المختلفة وهو ما يجعل من الأسطورة إرثاً رمزياً عالمياً "[4]. وليس غريباً إذاً أن نجد أن الأسطورة داخل التحليل النفسي تمارس ما يمارسه القانون العلمي لفهم الظاهرة هذا بالإضافة إلى القيمة العملية للأسطورة بالنسبة للحياة النفسية اللاشعورية خصوصاً لدى الجماعات البدائية التي يماثل فرويد فيما بينها مستعينا بالأسطورة على المستوى النظري كما المستوى العملي، طالما أن طبيعة الأسطورة لا تتوقف على الجانب النظري فقط، بل على الجانب العملي إذا أردنا أن نراقب فعلها على القوى الطبيعية والإنسان"[5]. وحتى الآن نكتشف أن الأسطورة داخل التحليل النفسي تؤدي وظيفة أكثر من مجرد الوظيفة الرمزية هذا إذا لم نتجاوز المستوى العملي إلا أن المضي قدماً في الربط بين لغة التحليل النفسي ولغة الأسطورة يكشف لنا عن طابع آخر تتمتع به الأسطورة داخل نظام التحليل النفسي. فإذا عدنا إلى أسطورة أدويب لوجدنا أن هذه الأسطورة تقدم على مستوى اللغة كما على مستوى الرمز دلالات متعددة فهذه الأسطورة لا تشرح لنا فقط الكبت والرغبات الجنسية، بل تبرز لنا في وجه من وجوهها الصراع مع السلطة والموقف منها"[6] وكل ذلك من خلال مفاهيم لغوية نستطيع ان نتلمس من خلالها دور الرمز الذي يفعل فعله داخل بنية الأسطورة، وكل ذلك ضمن النظام الفرويدي فنحن نجد أن القصة الأسطورية تحولت إلى ركن من أركان نظرية التحليل النفسي. بمعنى أن هذا التحليل قد استفاد من البعد الرمزي للأسطورة ليجعل منها منطلقاً أساسياً من منطلقات فهم وتحليل الظاهرة النفسية والوصول إلى التشخيص ثم العلاج هذا على المستوى العملي، أما على المستوى النظري فإن أسطورة أوديب تحيل إلى موقع وأهمية الرمز داخل نظرية فرويد بوصفها نظرية في التفسير وهذا البحث في آليات التفسير يمكن عده بحثا هرمينوطيقيا خصوصاً عندما تلمح هذه الأخيرة بأن "اللجوء إلى الرمزية يسلم الفكر إلى اللغة الملتبسة والأدلة المضللة التي يدينها المنطق السليم"[7]. ولعل هذه المسألة هي التي تجعل من التحليل النفسي أكثر من مجرد نظرية علمية تتوخى

[1] -أنظر: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، تحت إشراف د. فرج عبد القادر طه، دار سعاد الصباح، 1993، ص588.

[2] - ريكور، بول .صراع التأويلات دراسات هيرمينوطيقية،(مصدر سبق ذكره)، ص445.

[3] - مبروك، أمل. الأسطورة والأيديولوجيا، دار التنوير، د.ت، ص78.

[4] - أبو زيد، أحمد. الأسطورة والبناء الاجتماعي ، مجلة عالم الفكر، الكويت، م16، العدد3، 1985، ص19.

[5] - فريزر، جميس. الغصن الذهبي" دارسة في السحر والدين"ت: أحمد أبو زايد، الهيئة العام لقصور الثقافة، القاهرة،ج1، 198، ص174.

[6] - فروم، إيريش. اللغة المنسية، دراسة ممهدة لفهم الأحلام والحكايات العجيبة والأساطير. ت: محمود منقذ الهاشمي، ط2، دار الحوار، 2015، اللاذقية ، ص176.

[7] - ريكور، بول. في التفسير محاولة في فرويد.(مصدر سبق ذكره)،ص50

تتوخى الوصول إلى نتائج نظرية متفقة مع نتائجها العملية، ذلك أن قيمة الأسطرة داخل نظام التحليل النفسي تطغى على القيمة العلمية، وهو ما يسمح لنا بالقول إن العمل باتجاه التفسير والفهم لنظرية فرويد يبدو على درجة من الأهمية من وجهة نظر الهيرمينوطيقا، وعلى ما يبدو فإن هذا التداخل والتعقيب بين ما هو علمي من جهة، وما هو لغوي من جهة أخرى يجعل مهمة قراءة التحليل النفسي مهمة بالغة الصعوبة نظراً لقوة الرمز وحضوره على جميع المستويات داخل التحليل النفسي، فإذا كن نعتقد أن التحليل النفسي يقف عند حدود النتائج العملية فإن ذلك سيقود شيئاً فشيئاً إلى صياغة نظرية في الرمز تبحث عن الحدود الممكنة لفصل ما هو أسطوري عما هو واقعي داخل التحليل النفسي، ولهذا نجد أن المحاولات الهيرمينوطيقية لقراءة الفرويدية تجد أن هذه القراءة مرهونة بمجموعة مستويات يمكن تفصيلها بين ما هو تحليلي يتعلق بالتفسير وبين ما هو قراءات موجهة تحاول أن تخرج بنتائج على صعيد التناول الرمزي لنظرية التحليل وهو ما يفوق التشخيص والمعالجة. وبهذا الشأن يقدم ريكور محاور عدة وأساسية لقراءة التحليل والفرويدية انطلاقاً من الهيرمينوطيقا"[1] ومع ذلك فإن قيمة الأسطورة داخل الفرويدية تحتاج إلى المزيد من العمل النقدي طالما أن استخدام الأسطورة في التحليل النفسي هو لأغراض علاجية في الدرجة الأولى، ولكن لا يستطيع أحد أن ينكر أن الأسطرة قد جعلت من التحليل النفسي عملاً أدبياً وفلسفياً بعيداً عن نطاق الخطوات الإجرائية المتعلقة بعلم النفس التحليلي، والذي أخذ يتحول إلى نمطٍ من التفكير وقدرة على التفسير والتأويل للظواهر الفردية كما للظواهر الجمعية، وللظواهر الشعورية كما للظواهر اللاشعورية، مما جعل الكثير من العاملين في حقول الهيرمينوطيقا يتحدثون عن مهمات التأويل طالما أن الأسطورة لم تعد الطريقة الوحيدة للتعبير الرمزي. وفي هذا الشأن يعلق أحد هؤلاء العاملون في الهيرمينوطيقا والتأويل وهو بولتمان "إن معنى العبارات الأسطورية لم يعد أسطورياً إنه يقول أننا نستطيع أن نتكلم بعبارات غير أسطورية عن نهاية العالم والإنسان إزاء القدرة المتعالية لله"[2] وفي هذا الشأن يبدو أن الحديث عن علاقة التحليل النفسي والفرويدية بالتأويل والرمزية أصبح خارج نظام التحليل العملي والإفادة من نتائج الأسطرة على الصعيد النظري، وانزياح التحليل النفسي بشكل كامل ليكون مادة للدراسة الهيرمينوطيقا التي تساعدنا على التمييز بين المستويات المختلفة داحل نظام التحليل النفسي، وإن يكون التحليل النفسي مادة للدراس الهيرمينوطيقية يعني في الوقت نفسه أن يتم البحث في آليات إزالة الأسطرة من التحليل النفسي بما يساعد أكثر على جعل التحليل النفسي قادراً على تقديم نتائج مفيدة للتاريخ الرمزي طالما أن جزء من هذ التاريخ على الصعيد النظري، بمعنى آخر، فإن التعامل النصي والرمزي مع قيم التحليل النفسي سيفضي في النهاية إلى تقديم قراءة للفرويدية تتجاوز حدود وظيفة الأسطورة إلى حضور الأسطرة داخل النظام دون أن ينتظر التحليل النفسي نتائج عملية على المستوى الفردي أو على المستوى الجمعي.

ثالثاً- الفرويدية في التأويل الريكوري:

قد يبدو أن السؤال حول أهمية دراسة فرويد من قبل الهيرمينوطيقا وتحديداً عند ريكور سؤالاً لا يتمتع بأهمية بحثية، إلا أن الإجابة عن مثل هذا السؤال هي التي جعلت ريكور يبحث في الفرويدية خصوصاً والتحليل النفسي عموماً، ذلك أن ريكور يسعى إلى إيجاد فلسفة كبيرة للغة، تكون فيها هذه الفلسفة" قادرة على شرح الوظائف المتعددة للفعل الدلالة الإنساني والعلاقات المتبادلة لهذه الوظائف"[3]. وأمام هذا المشروع الريكوري كان لابد أن يكون التحليل النفسي وبالتالي

[1] - ريكور، بول. في التفسير محاولة في فرويد.(مصدر سبق ذكره)،ص61

[2] - ريكور، بول .صراع التأويلات دراسات هيرمينوطيقية،(مصدر سبق ذكره)، ص452

[3] - ريكور، بول. في التفسير محاولة في فرويد.(مصدر سبق ذكره)،ص 14

الفرويدية جزءاً من المشروع نفسه، فطالما أن ريكور يسعى إلى إقامة مشروع فلسفة اللغة الهادفة إلى شرح الدلالات المشار اليها، كان لابد من جمع كل النشاطات الفلسفية والعلمية في هذه الفلسفة ويقول ريكور في هذا الصدد أنه" ثمة مجالاً تتلاقى فيه، في أيامنا هذه ، كل البحوث الفلسفية هو مجال اللغة. وفي هذا المجال إنما تتصالب تقصيات وتجنشتاين، وفلسفة الألسنية لدى الإنكليز، والفينومينولوجيا المتحدرة من هوسرل، وبحوث هيدغر، وأعمال المدرسة البولتمانية واعمال مدارس التفسير الأخرى للعهد الجديد، وأعمال التاريخ المقارنة للأديان والأنتربولوجيا، المنصبة على الأسطورة والطقوس والاعتقاد، والتحليل النفسي أخيراً"[1]. وفي هذا التصريح لريكور نجد أن التحليل النفسي يحتل موقعاً أساسياً في فلسفات ما بعد الحداثة، ومنها فلسفة اللغة تحديداً، وفي الحقيقة أن معظم الذين انتموا إلى مدرسة التحليل النفسي كانوا قد لاحظوا هذه الطبيعة الرمزية للغة، والتي سمحت بأن تكون حاضنة لموضوعات التحليل النفسي ومن هؤلاء اريك فروم الذي اهتم بهذه الناحية"[2]. ولكن ما يلفت الانتباه أن اريك فروم في ابحاثه حول التحليل النفسي كان قد فند كل الإشكالات المحيطة به، وكذلك تطرق إلى الامتدادات العلمية والثقافية التي أفضى إليها التحليل النفسي، فهو أي ريكور يجد أن التحليل النفسي أكثر من مجرد قدرة على التفسير الثقافي، وان المأثرة التي قام بها التحليل النفسي عندما بحث في الحلم ودلالاته، أنه توصل إلى البحث في الحلم نفسه للوصول إلى مسألة أساسية وهي تمفصل الرغبة واللغة. بمعنى أخر، أن المطلوب تحليله هو نص سرد الحلم"[3]. هاهنا نجد أن الريكورية تسعى إلى طرح مفهوم الاستبدال في قضايا التفسير، وهذا النوع من الاستبدال قد أوحى به التحليل النفسي طالما أن هذا الحقل يساعد على مثل هذا الطرح خصوصاً وأن ريكور يجد أن الفرويدية قد سارت بشكل أو بآخر على التأسيس لما يسميه ريكور علم دلالة الرغبة"[4] أمام هذه الخصوبة التي أفضت إليها الفرويدية منطلقة من شرحها ليس فقط لآليات تفسير الحلم، بل وكذلك تفسير نص السرد لأي حلم، نجد أن الفرويدية كانت ملهماً أساسياً للتأسيس للفلسفة الكبيرة، ونعني بذلك فلسفة اللغة. وبالطبع فإن الريكورية تمعن في الغوص في طبقات الفرويدية بدءاً من نقد المفاهيم الفرويدية ومقارنتها بالظاهراتية والواقعية التجريبية وعلاقتها بعلم النفس الواصف وأخيراً وبشكل خاص الحديث الذي يقدمه ريكور حول الاستقصاء الفرويدي في واقعية المجهول كما يسميه ريكور"[5] كل ذلك يمنح الفرويدية قيمة وأهمية فيما يخص التأويل الريكوري، بل ويبدو أن الهيرمينوطيقا قد استفادت جيداً من قضايا التحليل النفسي فيما يخص آليات التأويل معتمدةً بشكل أساسي على تأويل الحلم، وبالتحديد نص سرد الحلم.

وربما استطاعت الريكورية أن تصل إلى كشف الدلالات التي شكلت موضوعات التحليل النفسي، وهي هنا أي تلك الدلالات شكلت ترابطاً بين علمين يحيلان إلى بعضهما البعض هما التحليل النفسي وفلسفة اللغة، حيث نجد إن الدلالة هي موضوع علوم أخرى مختلفة مثل اللسانيات والسيميائية وفلسفة اللغة"[6] وهذا يشير إلى العلاقة المركبة التي يتمتع بها الدال والمدلول في التحليل النفسي أولاً، ثم ارتباط التحليل النفسي بغيره من العلوم الإنسانية والطبيعية، ولكن ما يمكن أن نلحظه في متابعتنا لقراءة ريكور للفرويدية هو هذا الجهد الرامي إلى الكشف عن ترابط التحليل النفسي ووحدة النظرية التي جعلت من التحليل النفسي علماً من العلوم وهو ما يشير إليه ريكور عندما يتحدث عن موقع التحليل

[1] - المصدر نفسه، ص13

[2] - انظر فروم، إيريش. اللغة المنسية، دراسة ممهدة لفهم الأحلام والحكايات العجيبة والأساطير(مرجع سبق ذكره)، ص25

[3] - ريكور، بول. في التفسير محاولة في فرويد.(مصدر سبق ذكره)،ص15

[4] المكان نفسه.

[5] - ريكور، بول .صراع التأويلات دراسات هيرمينوطيقية،(مصدر سبق ذكره)، ص143

[6] السيميائية وفلسفة اللغة، ص 115

النفسي في تاريخ العلوم النفسية بدءاً من علم النفس الفردي مروراً بعلم النفس الاجتماعي وصولاً إلى الحقول العلمية والفنية والفلسفية المرتبطة بشكل من أشكال بالتحليل النفسي"[1]، وطالما أن الحال كذلك فإن ارتباط الهيرمينوطيقا بالتحليل النفسي يبدو ارتباطاً أساسياً من حيث إن طبيعة التأويل تتخذ طابعاً مشتركاً بين موضوعات التحليل النفسي وتتصل بجهة من الجهات بقضايا الهيرمينوطيقا والتأويل وعلى هذا الأساس لا تبدو الفرويدية جزءاً بسيطاً من أجزاء البحث الهيرمينوطيقي الريكوري بل تتجاوز ذلك لتكون جزءاً أساسياً في هذا التأويل. ويبدو لنا أن ريكور في قراءته للفرويدية حاول ان يستفيد بشكل عام من المعطيات التي تراكمت بسبب الدراسات الأكاديمية حول التحليل النفسي، وقد بدأ ذلك مع البحث في التقصي الأبستمولوجي للتحليل النفسي في الثقافات التي تعتمد بشكل أساسي على المنطق التجريبي للعلم والتساؤلات التي جرت حول إمكانية تمتع التحليل النفسي بالروح العلمية"[2] وقد أخذت التأويلية على عاتقها الكشف عن العلاقة القائمة بين التحليل النفسي وفروع المعرفة الأخرى دون أن يعني ذلك أنها قد أغفلت القدرة على التأويل التي أفرزت جملة من الموضوعات مكنت الهيرمينوطيقا من توطيد آليات التأويل داخل حدود الهيرمينوطيقا نفسها.

الاستنتاجات والتوصيات:

استطعنا في هذا البحث أن نضع يدنا على مفاتيح العلاقة المعلنة تارة والمضمرة تارة أخرى بين آليات التأويل في كل من التحليل النفسي الفرويدي ونظرية التأويل عند بول ريكور وكيف استفادت التأويلية من عناصر شتى أوحت بها الفرويدية كنظرية في التحليل النفسي المرضي، وهو ما ساعد على فهم الكيفية التي هجرت فيها بعض المفاهيم حقل التحليل النفسي إلى حقل التأويلية والهيرمينوطيقا، وكيف أفادت هذه الأخيرة من هذه الهجرة ولكن ضمن مقتضيات منهجية ومعرفية تلاءمت مع فلسفة اللغة التي شكلت الهدف الأكبر للنشاط التأويلي الريكوري، وبهذا الاعتبار يمكن القول أن البحث الذي انتهى للتو تمكن كما نعتقد من التأسيس لأبحاث أخرى في ميدان فلسفة اللغة ربما تكشف مستقبلاً عن عمق العلاقة بين التحليل النفسي وحقول البحث اللغوي في مجال الألسنيات والسيميائية بعد أن تكون هذه الأبحاث قد استفادت جيداً من علم نفس اللغة وعلاقته بالتأويل دون الاستفاضة بقضايا علم نفس اللغة المرضي والعلوم الأخرى التي ترتبط به، كذلك يمكن القول أن هذا البحث ربما مكّن باحثين آخرين من خوض مضمار البحث في التأويلية ونشاطها المستمر حول توظيف الرمزية والأسطورة في قضايا فلسفة اللغة.

[1] ريكور، بول .صراع التأويلات دراسات هيرمينوطيقية،(مصدر سبق ذكره)، ص161

[2] - ريكور، بول. في التفسير محاولة في فرويد.(مصدر سبق ذكره)،ص 292

المصادر والمراجع:.

1. ريكور، بول. *نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى*. ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب،2006.
2. ريكور، بول .صراع التأويلات دراسات هيرمينوطيقية.ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، 2005.
3. ريكور، بول. في التفسير محاولة في فرويد. ط1، ت: وجيه أسعد، أطلس للنشر والتوزيع، دمشق، 2003.
4. أبو زيد، أحمد. الأسطورة والبناء الاجتماعي ، مجلة عالم الفكر، الكويت، م16، العدد3، 1985.
5. إيكو، امبرتو. *السيميائية وفلسفة اللغة*. ت: أحمد الصمعي، ط1 ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005.
6. فروم، إيريش. اللغة المنسية، دراسة ممهدة لفهم الأحلام والحكايات العجيبة والأساطير. ت: محمود منقذ الهاشمي، ط2، دار الحوار، اللاذقية، 2015.
7. فريزر، جميس. الغصن الذهبي" دارسة في السحر والدين"ت: أحمد أبو زايد، الهيئة العام لقصور الثقافة، القاهرة،ج1، 1998.
8. مبروك، أمل. الأسطورة والأيديولوجيا، دار التنوير، د.ت، د.م.
9. موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، تحت إشراف د. فرج عبد القادر طه، دار سعاد الصباح، 1993.
10. يحيى، لطفي عبد الوهاب. الأسطورة والحضارة والمسرح في مأساة أوديب ملكاً، مجلة عالم الفكر، الكويت، م16، العدد3، 1985.
11. DEODATO, S.ITAO ALEXIS. Paul Ricour's Herencutics of symbols; Acritical Dialectic of suspion and faith, Rogationist Seminary college- cebu, philippines,2010,p.17. http://www.kritike.org/journal/issue_8/itao_december2010